المنتدى التونسي للحقوق
الاقتصادية والاجتماعية

الانتحار ومحاولات الانتحار في تونس

2021

FTDES
المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية

المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية

الانتحار
ومحاولات الانتحار
في تونس
2021

FTDES
المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية

الانتحار ومحاولات الانتحار
في تونس 2021
(النشرة الأولى، جانفي 2022)
لمياء هريشي
نجلاء عرفة
أسماء سحبون
ريم سوودي
أيمن بن علي

© جميع الحقوق محفوظة للمنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية

FTDES

شارع فرنسا، 1000 تونس / باب البحر
الهاتف: 129 325 71
الموقع الإلكتروني: www.ftdes.net

تصميم:
EDITIONS ALFINIQ
Tél: 31 567 819
www.alfiniq.tn

الفهرس

مقدّمة	**5**
قراءة عامة في حصيلة 2021	**11**
1) فعل الانتحار حسب متغيّر السن والجنس	**15**
2)التوزيع الجغرافي للانتحار ومحاولات الانتحار	**16**
3) الانتحار ومحاولة الانتحار حسب الشريحة العمرية	**20**
3-1 الشريحة العمرية الأقل من 15 سنة	20
3-2 الشريحة العمرية الأقل من 16 إلى 25 سنة	23
3-3 الشريحة العمرية الأقل من 26 إلى 35 سنة	27
3-4 الشريحة العمرية الأقل من 36 إلى 45 سنة	29
3-5 الشريحة العمرية الأقل من 46 إلى 60 سنة	31
3-6 الشريحة العمرية فوق 60 سنة	33
4) الانتحار في مجتمع المخاطر: فعل تعبيري سياسي راديكالي	**35**
الخاتمة	**39**

مقدّمة

يشهد مجتمعنا مجموعة من التحولات والمخاضات والمشكلات مختلفة الأنماط والمجالات والمستويات، لعل أخطرها ما أصبح يتفاقم يوما تلو الآخر وما نشاهده في مشهد إحصائي في عدد حالات الانتحار ومحاولات الانتحار المعلن عنها دون التي دفنت مع أصحابها. إذ يثير الانتحار تساؤلات كثيرة عن المجتمع ، لأنه، يؤثر على ما يصنع الرابطة الاجتماعية. فعادة ما يرتبط فعل الانتحار خاصة في الدراسات السوسيولوجية الكلاسيكية[1] بفروق في درجة التضامن الاجتماعي، حيث يؤدي شعور الفرد بانعدام الروابط الاجتماعية أو ضعفها إلى إنهاء حياته. ورغم أن البشر يعتبرون أنفسهم أفرادا يتمتعون بكامل الإرادة والحرية، إلاّ أنّ أنماط سلوكهم كثيراً ما يجري تشكيلها وصياغتها مجتمعيا.

كما اعتبر علماء النفس[2] أن الانتحار هو حالة الموت الناتج عن فعل يأتيه الفرد بنفسه، بقصد قتل نفسه، وليس التضحية بها لشيء آخر، أي هو موت إرادي يقدم عليه الفرد للخلاص من مشاكله وصعوباته غير المحتملة التي نشأت من حياته في الجماعة، ويقوم بنفسه بالوسيلة التي تحقق له غيابا تاما. إنّ سؤال الانتحار سؤال جوهري ووجودي معقد. إذ تطرح مسألة قتل الذات أسئلة أخلاقية وسياسية، علاوة على الأسئلة الاقتصادية في مجتمع يتزايد فيه التناقض.

1 Emile Durkheim , le suicide , France , 1897

2 Nezahat tanc , ETUDE PSYCHOLOGIQUE SUR LE SUICIDE , en ligne , https://dergipark.org.tr/tr/download/article-file/4721

منـذ انطـلاق شـرارة الثـورة مـع فعل «الحـرق» الـذي قام به الشـاب محمـد البوعزيزي يـوم 17 ديسـمبر 2010 تحول الجسـد إلـى محمـل للتعبيـر و بقيـت الذاكـرة الجماعيـة مثقلة بمـا يحمله هـذا الفعـل مـن مفارقـة. فالنـار التي أضـاءت الأمـل بالنسـبة إلى شـباب الـ 23 سـنة من الديكتاتوريـة أودت بحياة شـاب في مقتبل العمـر. وقـد اكتسـب هـذا الفعـل رمزيـة فيما بعـد تحولـت معه نظـرة العالـم إلـى الشـارع التونسـي الـذي أصبـح «ذاتًـا فاعلـة» وخرج من السـكون إلـى الحركة لتنطلـق عدوى الانتحـار أو الحرق فـي مختلـف أرجاء المجتمع التونسـي. كان لذلك تأثيـر كرة الثلج و اسـتمر فعـل الانتحار ومحـاولات الانتحـار في ارتفـاع متواصل منذ انـدلاع الثـورة إلـى اليـوم، نهايـة 2021 . (رغم تواجدهـا قبل 17 ديسمبر 2010)

مـن خـلال فعـل الانتحـار صـار الجسـد أداة تعبيريـة عـن الواقـع المـأزوم وحالـة القهـر والضيـم التـي تعاني منها شـرائح مختلفـة مـن المجتمـع التونسـي. فنثـر ذلـك الجسـد بمـا لـه من قدسـية فـي الثقافـة العربية حـول العالم محمّـلا بدلالتـه ومعانيه فـي وسـائل التواصـل الاجتماعـي ووسـائل الإعـلام العالميـة ناقلا لرسـالة تعبيريـة معمقـة كانـت بدورهـا فعـلا تعبويّـا للشـوارع التونسـية ثـم العربيـة. فـكان هـذا الفعـل بمثابة شـرارة لسـقوط نظـام بـن علـي. وعلـى الرغـم مـن التناقـض الذي قـد يبـدو عليه الأمـر ، فإن هـذا التغيير الـذي أعطى الأمـل لـ«المهمّشـين» كان له «أثـر عكسـي effet pervers». ليصبـح فعـلا دوريًّـا فـي مختلف جهـات البلاد التونسـية.

وإذا كان لهـذا الفعـل علـى مسـتوى خلفيته السوسـيوتاريخية والثقافيـة جـذور تشـكُّل بنيوي وسـياق تطـور في إطـار التفاعل مـع الراهـن فإن اللحظـة الكونيـة الراهنة لحظـة العولمـة بنظامها الكونـي الجديـد وثورتهـا المعرفيـة والتقنيـة قد سـاهمت بقدر لا يمكـن تجاهلـه في اشـتداد حـدّة هـذا الفعـل ومضاعفـة مخاطره

من خلال فعل الانتحار صار الجسد أداة تعبيرية عن الواقع المأزوم.

وآثاره السلبية بشكل بالغ التعقيد والتأثير. فالفرد الذي اختار الانتحار حلاّ جذريا لهذه المحن هو في الحقيقة عبّر عن عدم قدرته على التّكيف مع ثقل واقعه المعيشي وعدم قدرته على الانخراط فيه. فالانتحار من وجهة نظر تحليل نفسي[3] يرجع إلى طيات التكوين النفسي أي نتيجة لإخفاق الفرد في التعبير عن ذاته مما يؤدي إلى تدميرها ورفض الحياة بصفة كلية. اليأس والعجز اللذان يتعرّض لهما الفرد المنتحر يعبّران عن حالة الانفصال بين عالمه الداخلي وعالمه الخارجي .

في هذا التمشي التحليلي سنحاول أن نقدم قراءة لفعل الانتحار في المجتمع التونسي اعتمادا على الأرشيف الإحصائي الخاص بالمنتدى. هذا الأرشيف مصدره عينة الرصد التي يتم الاشتغال عليها بالأساس وهي كل ما يُنشر عبر وسائل الإعلام المكتوب والمسموع والبصري وأيضا ما ينشر في مواقع التواصل الاجتماعي من معلومات يتم التدقيق فيها والتحري حولها وكذلك الإشعارات الواردة من المواطنين ومن فروع المنتدى في الجهات. علما وأن الانتحار فعل يتم التكتم حوله سواء في محيط الضحية أو أيضا من قبل الهياكل الرسمية. لأجل ذلك نتحدث عن أرقام لا مرئية وهي الأعداد الحقيقية لحالات ومحاولات

3 Xavier Pommereau , l'adolescent suicidaire , DUNOD , 2001

الانتحار، وأرقام مرئية متوفرة لدى وزارات الصحة والمرأة والداخلية ولكن يتم التكتم حولها. ويعكس البطء في إعداد التقارير الداخلية في هذه الهياكل الرسمية حول ظاهرة الانتحار وصعوبة النفاذ إلى المعلومة واعتماد طرق تقليدية في جمع المعلومات عدم إيلاء الدولة اي أهمية لمشكل اجتماعي في طريقه نحو الزيادة وقد يتحول إلى ظاهرة اجتماعية. إذ يتم التعامل مع ظاهرة الانتحار على مستوى الإشعارات فحسب في مختلف هذه الوزارات وذلك سواء عبر أقسام الطب الشرعي في المستشفيات أو عبر مراكز الأمن التابعة لها بالنظر مناطق الضحايا وأيضا عبر إشعارات مندوبي حماية الطفولة أي أن الهياكل الرسمية تتولى دور العدّاد فقط لاحتساب عدد حالات ومحاولات الانتحار مع معطيات كمية حول أعمار الضحايا وجنسهم ومناطقهم دون أن توُجِد هذه الهياكل الرسمية وغيرها من الهياكل الأخرى المعنية أي استراتيجية استباقية للوقاية من الانتحار والحد منه. إذ سبق لوزارة الصحة العمومية أن برمجت سابقا إحداث مرصد وطني للانتحار للوقاية من الظاهرة والإحاطة بالضحايا ظل إلى اليوم مجرد فكرة في أذهان مسؤولي وزارة الصحة.

> **من خلال فعل الانتحار صار الجسد أداة تعبيرية عن الواقع المأزوم وحالة القهر والضيم التي تعاني منها شرائح مختلفة من المجتمع التونسي.**

وأمام صعوبة النفاذ إلى المعلومة اعتمدنا منهجية فيها رصد لحالات ومحاولات الانتحار المنشورة عبر مختلف وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي وكانت الأرقام تقريبا تحاكي ما يتم إعلانه رسميا في تقارير وزارة الصحة العمومية.

بالاعتماد على مجموع الإحصائيات التي تم رصدها طيلة سنة 2021 من قبل المرصد الاجتماعي التونسي التابع للمنتدى

التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، إضافة إلى الرجوع إلى مجموعة من الدراسات العلمية حول الانتحار، سنحاول الإجابة على سؤال ماهي أهم العوامل المتشابكة التي جعلت من هذا الفعل يتفاقم سنويا في المجتمع التونسي و كيف أثرت المتغيرات السياسية والاقتصادية على التركيبة النفسية والاجتماعية للفرد التونسي؟ ■

قراءة عامّة
في حصيلة
2021

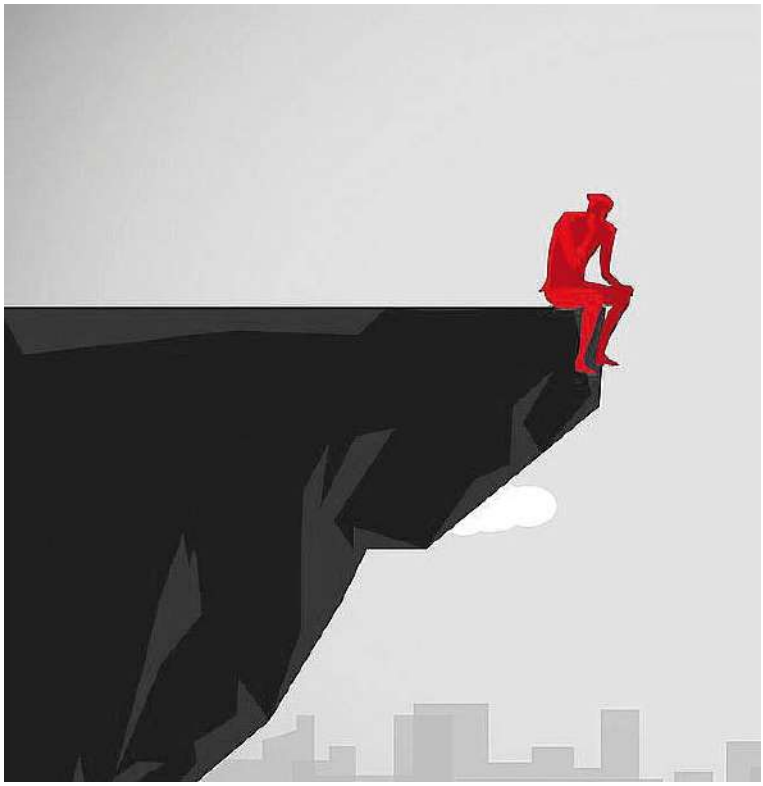

الجدول عدد1 : إحصائيات 2017 – 2021

العدد	السنة
181	2021
235	2020
268	2019
467	2018
626	2017

نلاحظ تراجعا متواصلا في عدد الحالات المسجلة للانتحار ومحاولات الانتحار في السنوات الأخيرة من 626 سنة 2017 إلى 235 سنة 2020 كما شهدت تراجعا نسبيا بين سنتي 2020-2021.

الرسم البياني عدد 1 : إحصائيات سنة 2021 حسب الجنس

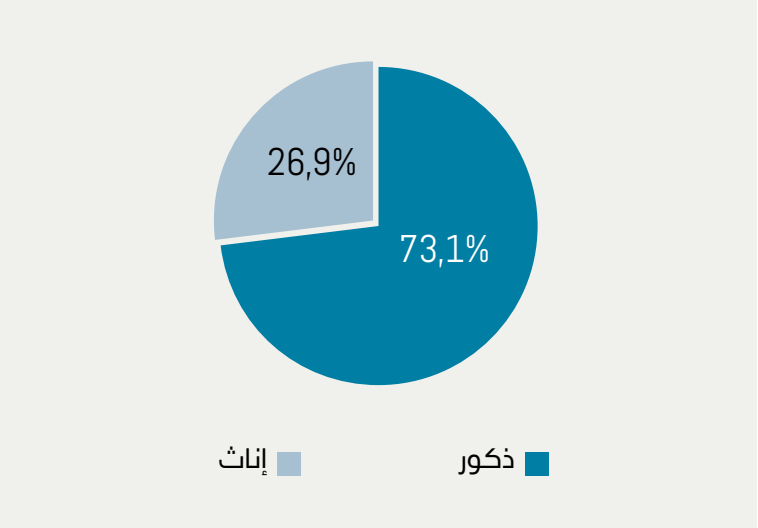

وخلال سنة 2021 ارتفع عدد الذكور بـ 131 أي بنسبة قدرت بـ 73.1 % مقابل عدد الإناث الذي بلغ 50 حالة أي بنسبة 26.9% من مجموع الحالات .كما سجلت هذه النسب تراجعا نسبيا مقارنة بسنة 2020 التي سُجلت فيها 174 حالة

بالنسبة للذكور و61 حالة من الإناث . وقد حافظ جنس الذكور على مرتبة الصدارة في كلتا السنتين. تعود الأسباب التي تدفع الذكور إلى الإنتحار أو محاولة الإنتحار أكثر من الإناث إلى التنشئة الإجتماعية وما يفرضه المجتمع على المرأة من مسؤولية باعتبارها لديها القدرة الأكبر على التحمل. كما يتظافر العامل الاجتماعي مع العامل النفسي ويظهر في قدرة المرأة على التعبير عن أحاسيسها بالبكاء أو الحديث في حين يتميز سلوك الرجل بالاندفاع وعدم قدرته على التعبير عن مشاعر الخوف أو المعاناة. نظرا لما يفرضه المجتمع من ضوابط تحدد سلوكه كرجل. هذه الضوابط تخلق تركيبة نفسية هشة يكون نتاجها حالات من الفعل العنيف نحو الذات.

كما شهدت سنة 2021 أيضا تعددا في آليات الانتحار ومحاولاته ليرتفع الانتحارا شنقا بدرجة أولى في مختلف الولايات التونسية ب41.6 % ويليه الانتحار حرقا بنسبة 29.7 % إضافة إلى عديد الطرق الأخرى مثل القفز من الأماكن العالية وشرب الأدوية أو المواد السامة و استعمال الأسلحة البيضاء أو النارية وفي ما يلي الرسم البياني الذي يوضح ذلك.

الرسم البياني عدد 2 : آليات الانتحار

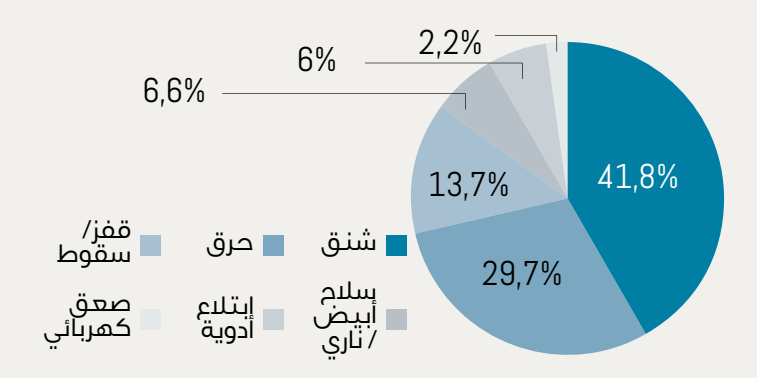

ترتبط هذه الآليات المذكورة سابقا بالشريحة العمرية والجنس وفضاء الفعل. إذ عادة ما يختار الذكور الإنتحار حرقا في الفضاءات العامة . يعود ذلك لما تحمله هذه الفضاءات من رمزية و ما وّرثه فعل «البوعزيزي» من رمزية لفعل الحرق في الفضاء العام. إذ يتحول المنتحر إلى صورة «المناضل» الذي وهب حياته من أجل المجموعة.

سنة 2021 ارتفع عدد المنتحرين شنقا بدرجة أولى في مختلف الولايات التونسية بـ 41.6 ٪

تمثل الطريقة المعتمدة للانتحار وفضاؤها جزءا من هوية الفاعلين الاجتماعيين، فغالبا ما تختار الفئات العمرية 25-46 الفضاء العام ليكون ذلك محاولة للانتحار أكثر منه فعلا انتحاريا .إذ ينطلق بالتهديد تعبيرا عن الرغبة في التفاوض مع مسؤولي مؤسسات الدولة أولا ورغبة في كسب التعاطف وكسب الإنتشار الجماهيري ثانيا وأيضا رغبة في منعهم من الانتحار من قبل الجمهور الحاضر. ويكون هذا الفعل الممسرح في كثير من الحالات فعلا جماعيا وخاصة ذكوريا لارتباطه الوطيد بالفضاء العام.

أما فيما يتعلق بفئة المراهقين و النساء فغالبا ما يتم فعل الانتحار في المنازل أو الأماكن النائية. ويمكن ان نفهم ذلك بالعلاقة التي تربط الفضاء الأنثوي اجتماعيا بالفضاء الخاص من ناحية وتعبيرا عن القرار الحاسم في الانتحار من ناحية أخرى. ويكون هذا الفعل في نسب كبيرة منه مرتبطا خاصة بالشنق أو الإفراط في تناول الأدوية أو باستعمال الأدوات الحادة والأسلحة البيضاء.

1) فعل الإنتحار حسب متغير السن والجنس:

جدول عدد 2 : الإنتحار حسب متغير السن والجنس

الشريحة العمرية	15 -	25-16	35-26	45-36	60-46	60 +
ذكور	6	17	51	32	19	6
اناث	6	11	16	5	9	3

الرسم البياني عدد 3 : الإنتحار حسب متغير السّن

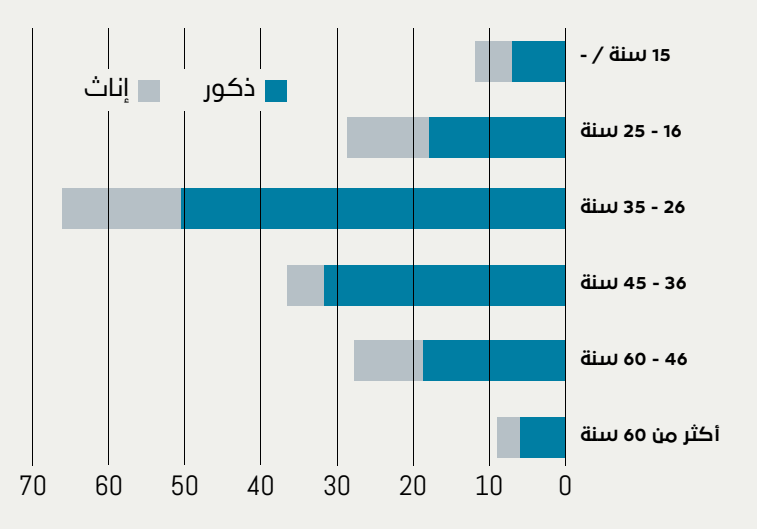

انخفضت نسبة الإنتحار في الشريحتين الأقل من 15 سنة والأكثر من 60 سنة لكلا الجنسين وهو تقريبا ما شهدته إحصائيات 2020 لتحافظ الشريحة العمرية 26-35 على الصدارة أيضا بمجموع 67 حالة مقسمة بين 51 حالة ذكور و16 حالة إناث.

الرسم البياني عدد 4: الإنتحار بين سنتي 2020 و2021 حسب متغير السّن

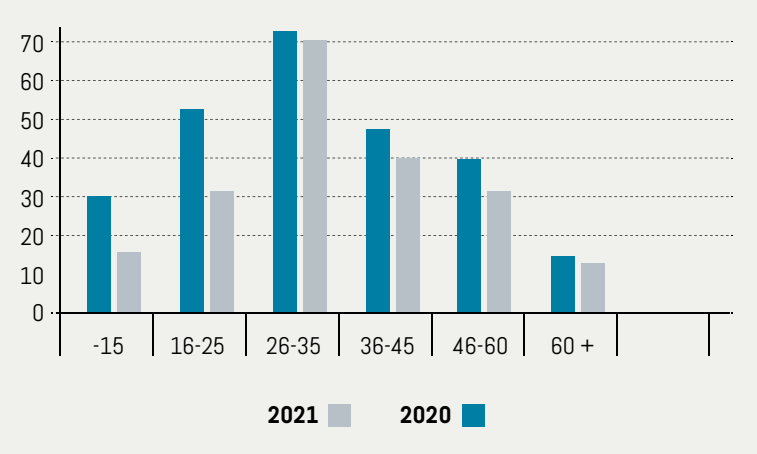

2) التوزع الجغرافي للانتحار ومحاولات الانتحار:

الجدول عدد3: الانتحار حسب الجهات

الولاية	2019	2020	2021
أريانة	0	2	1
بن عروس	1	3	6
بنزرت	9	6	8
تونس	15	11	24
زغوان	4	4	2
منوبة	4	1	4
نابل	15	27	13
باجة	6	3	2
جندوبة	16	20	6
سليانة	12	8	3
الكاف	11	4	5
سوسة	16	17	11
صفاقس	8	11	4
المنستير	13	3	15

المهدية	9	9	5
س بوزيد	19	20	18
القصرين	14	10	8
القيروان	48	37	22
تطاوين	5	2	2
قابس	8	5	3
مدنين	9	7	9
توزر	5	2	1
قبلي	2	7	0
قفصة	19	13	9
المجموع	**268**	**235**	**181**

نلاحظ تغيّرا في التوزيع الجهوي لحالات الإنتحار ومحاولات الإنتحار إذ هناك تشكل لخارطة جديدة من خلال هذه الإحصائيات. بعد أن كانت ولاية القيروان في المرتبة الأولى بـ48حالة سنة 2019 و 37 حالة سنة 2020 تصدّرت ولاية تونس الترتيب بـ 24 حالة سنة 2021.

أما فيما يتعلق بفئة المراهقين و النساء فغالبا ما يتم فعل الانتحار في المنازل أو الأماكن النائية.

الخريطة عدد1 : التقسيم الجهوي للإنتحار

182 حالة انتحار			
أريانة	1	بن عروس	6
بنزرت	8	تونس	24
زغوان	2	منوبة	4
نابل	13	باجة	2
جندوبة	6	سليانة	3
الكاف	5	سوسة	11
صفاقس	4	المنستير	15
المهدية	5	س. بوزيد	19
القصرين	8	القيروان	22
تطاوين	2	قابس	3
مدنين	9	توزر	1
قبلي	0	قفصة	9

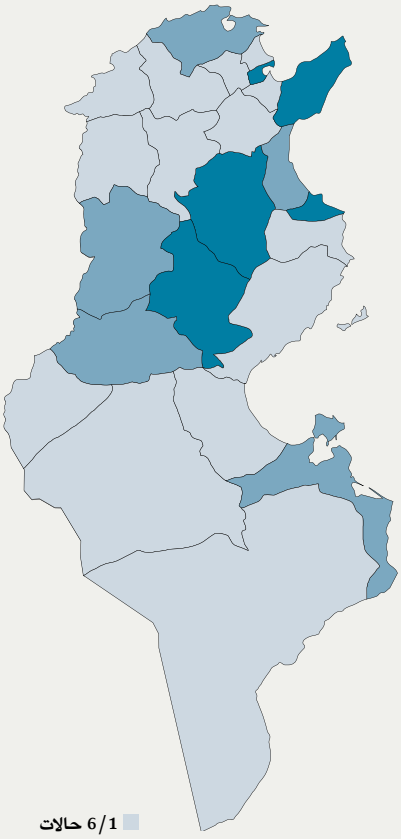

6/1 حالات — 12/7 حالة — 13 حالة فما فوق

هـذه النسـب تجعلنـا نتراجـع قليـلا فـي تأكيدنا علـى ارتباط فعـل الإنتحـار بجغرافيـة التهميـش وخارطـة المناطـق الداخليـة. سـننطلق من فكـرة أنه لا يمكننا فصل مشـاكل الفـرد عن التحولات الاجتماعيـة التـي تمـر بهـا كل المجتمعـات. فما فرضتـه التحولات العالميـة علـى الأفراد ومـا شـهدته المجتمعات من تغيـرات عميقة كالثـورة التكنولوجيـة والعولمـة - والمجتمـع التونسـي هنـا ليس اسـتثناء- ومـا أدى بدوره إلـى تراجع دولـة الرعايـة. فإنتقلنا بذلك مـن نظام يعمـل علـى المحافظة علـى الإسـتقرار إلى نظام يتسـم بعـدم الإسـتقرار ويجبر الأفـراد على تسـير حياتهم بأنفسـهم. كما

تجبرهـم الدولـة بهـذا النظـام علـى البحث عـن طرق للخـروج من وضعيـة الهشاشـة ، فتتركهـم يواجهـون هـذا اللايقيـن والمرونـة بمفردهـم. إذ يجد الفرد نفسـه أمـام مصاعب الاندمـاج في مجتمع يتسـم بعـدم اليقيـن والمخاطر وفـي دولـة تركته لحال سـبيله.

و أمـام انهيـار كل مصاعـد الإرتقـاء والتمييـز الاجتماعـي والتفـاوت فـي توزيـع الثـروات. وبالتالـي أمـام محنـة متطلبـات الإرتقـاء أو النجـاح فـي مواجهـة انعـدام المـوارد والأرصـدة يجد الفرد التونسـي باختـلاف انتمائه الجهـوي في وضعيـة « المعاناة» اذ يعيـش القطيعـة بيـن طموحاتـه وواقعـه. أمـام هـذا ، يعيـش هـؤلاء الافـراد في «زمـن اللايقين» صعوبـة في الاندمـاج الاجتماعي والاقتصـادي والمهنـي وتأزمـا في العلاقـة بين الفرد والمؤسسـات الرسـمية. ومـا يفـرز بـدوره آثـارا سـلبية وتوتـرات تنعكـس على الحيـاة اليوميـة للأفـراد (أفـرادا أو مجموعـات). هـذه الهشاشـة تؤثـر علـى الصحة النفسـية للمواطـن فيكـون الإنتحار بـدوره في مختلـف جهـات البـلاد ردّة فعـل علـى حالـة الحرمـان والخيبـات المتتاليـة. فالشـعور بالظلـم والتهميـش وخيبة الأمـل يضطر هذه الفئـات بالضـرورة إلى الانتقـال إلى التصعيـد والتعبيـر المتطرف عنهـا بإنهـاء حياتهم التـي أضحت غيـر ذات قيمة وأهميـة. تأزمت هـذه الوضعيـة مـع جائحـة كورونـا التـي كانـت تابعاتهـا عميقة خاصة فـي المناطـق الحضرية. التـي تعاني بطبيعتها من مشـاكل حضريـة وسوسـيواقتصادية تدعمـت مـع الحجـر الصحـي ، ومـا فرضـه مـن تغيـرات علـى التركيبـة النفسـية والاجتماعيـة للأفراد فـي هـذه المناطق . يعـود ذلك لصعوبـات العيش فيهـا والمتطلبات المعيشـية الصعبـة التـي تفرضهـا علـى المواطـن .اذ وجد نفسـه عاجـزا أمـام توفير هـذه المتطلبـات في ظـل الجائحة التـي منعته مـن الخـروج والبحـث عـن عمل.

3) الانتحار ومحاولة الانتحار حسب الشريحة العمرية :

3-1 - الشريحة العمرية الأقل من 15 سنة :

الرسم البياني عدد 5 : الشريحة العمرية الأقل من 15 سنة بين 2020- 2021

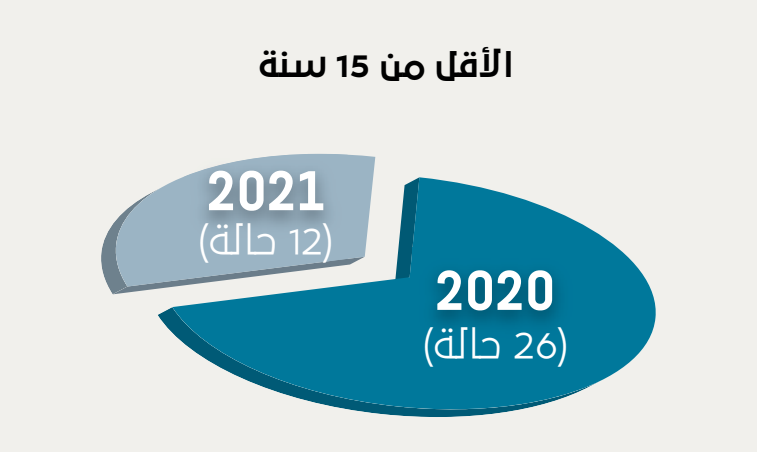

شهدت نسب الانتحار المسجلة خلال سنة 2021 والمتعلقة بالفئة العمرية الأقل من 15 سنة تراجعا ملحوظا مقارنة بسنة 2020 . اذ انخفضت من 26 حالة إلى 12 حالة مقسمة بالتساوي بين الجنسين .غير أن ذلك يبقى مؤشرا سلبيا في مجتمع من الضروري أن يعول على رأسماله البشري .

الجدول عدد 4 : حصيلة 2021 في الشريحة العمرية الأقل من 15 سنة

حصيلة 2021		
الاناث	الذكور	المجموع
6	6	12

إنّ اقدام هذا العدد من الأطفال (12 طفلا) على إنهاء حياتهم يثير الفزع والحيرة والريبة ومؤشر على وجود خلل بنيوي. خاصة وأنه لا يعكس العدد الفعلي لحالات أو محاولات الانتحار، في ظل تعمّد عائلات كثيرة التكتم عن مثل هذا الفعل.

اضافــة إلــى إســعاف حــالات كثيــرة مــن دون التبليــغ عنهــا. هذه الأرقــام التــي تتأرجخ بيــن الإرتفــاع والتراجع طيلة ســنوات مضت وإلــى حــدود اليوم تطــرح علينــا كثيرا من التســاؤلات عن الأســباب التــي تجعــل مــن طفــل ينهــي حياتــه. فالطفــل لا يتمثــل الانتحار ورمزيتــه ولا يــدرك خطــورة نتائجــه لكنه يعــي بكيفية الإســتعداد لــه وتنفيــذه. مفارقــة صعبــة تضعنــا أمامها هــذه الأرقــام فهل أن ديناميكيــة المجتمــع التونســي وعصــر العولمــة ألغيــا مؤسســات التنشــئة الاجتماعيــة التقليديــة وأوكلا المهمــة لمؤسســات أخــرى برهنــت عــن فشــلها باكرا؟

بالإعتمــاد على دراســات علــم النفــس الاجتماعي يتأثــر الطفل بدرجــة أولــى بمحيطــه العائلي ومحيطه المدرســي وهــذا ما تدعمه الدراســات السوســيولوجية فــي تأكيدهــا علــى أهميــة مؤسســات التنشــئة الاجتماعيــة ومــدى تأثيرها في بناء شــخصية الفــرد. وهذا مــا نستشــفه مــن خــلال الأســرة التونســية التــي تطــور مفهومها خلال الســنوات الأخيرة . ما عايشــه المجتمع التونســي منذ أواســط القــرن 19 إلــى اليــوم نهايــة 2021 مــن تغيــرات شــاملة أثــرت حتمــا علــى تركيبــة العائلة التونســية وعلــى وظائفهــا. فالمتغيرات الاجتماعيــة لــم ترافقهــا متغيــرات قانونية. مــن ذلك خــروج المرأة والرجــل للعمــل معــا لــم يواكبه تشــريع يضمــن حقــوق الطفل في الرعايــة وفي التربية الســليمة . لم يهتم المشــرع بأهميــة هذه الفئة وتأثيــر فــراغ العائلــة عليهــا نفســيا واجتماعيــا. وقد صاحــب ذلك غيــاب وعــي العائلة بذلــك. فانشــغالها بتوفيــر الحاجيــات المادية لأبنائهــا في ظــل الضغوطــات الاقتصادية جعلها تتغافــل عن دورها العاطفــي. ففي ظــل مجتمع يعاني الجــزء الأكبر من ســكانه الفقر والعــوز وعــدم القــدرة على الوفــاء باحتياجــات الأبناء، يجعــل الآباء ينشــغلون عــن حاجــة أبنائهم إليهــم، غيــر مدركين أن هــؤلاء الأبناء ينتمــون إلــى جيــل جديــد مختلــف ويعانون مــن مشــاكل مختلفة .وهــذا مــا مــن شــأنه أن يخلق حالة مــن غيــاب التواصل بيــن الآباء

والأبنـاء ويهدد الحوار الأسـري وشـعور الطفـل بالاهتمـام وبمحبة والديـه. يصيب ذلـك الأبناء بخيبة الأمـل والفـراغ العاطفي ويعمق شـعورهم بالعزلـة عن الأسـرة. هذا الفـراغ العاطفي داخل الأسـرة التونسـية يخلـق نوعا مـن الاكتئاب وهو من أهم الأسـباب النفسـية التـي تجعـل الطفـل أكثـر عرضـة للانتحـار. وهـذا ما يدعمـه علم النفـس الـذي يعتبـر أن الأطفال الصغـار أيضا يكتئبـون، والاكتئاب لديهـم يكـون أخطـر، فالكبـار يملكـون القدرة علـى التعبيـر لكن الأطفـال لا يسـتطيعون التعبيـر عـن آلامهـم النفسـية ولا يشـكون للأوليـاء عنهـا، ولذلـك تتضخـم هـذه الآلام وتكبـر بمـرور الوقـت فتخـرج تصرفاتهـم عـن المألـوف. مـا قـد يـؤدي إلـى حـدّ إنهاء الحياة..

لا يمكننـا أن نتجاهـل هنـا التأثير النفسـي للعنف علـى الطفل خاصة الأسـري، الـذي ارتفعت حصيلته في السـنوات الـأخيرة مع جائحـة كورونـا ، خاصـة العنف المسـلط على المرأة. وهـو ما يؤثر حتمـا علـى الأبنـاء أو العنـف المسـلط علـى الطفـل مباشـرة. لعل أبـرزه ما تم تسـجيله فـي أكتوبـر 2021حادثـة الاعتداء الجنسـي فـي حمـام الأنـف مـن طـرف أب علـى أبنائـه . وكذلك طفلـة الـ8 سـنوات بمعتمديـة أم العرايـس التـي تعرضـت لمختلـف أشـكال العنـف مـن قبل زوجـة الأب . هـذا التنامي الملحوظ للعنف الأسـري يقابلـه غيـاب كلـي لمؤسسـات الدولة فـي دورهـا في رعايـة الأم والطفـل وحمايتهـا من تتبعـات هذه الممارسـات العنيفة المسـلطة عليهم .

اضافـة إلـى ماسـبق ، تعانـي الأسـرة ضغوطات أثـرت بصفة مباشـرة على الطفل. ناهيك عمّا تعايشـه المدرسـة التونسـية اليوم مـن تراجع في دورهـا التربوي ، وضعـف نجاعة البرامـج التعليمية وكثرة سـاعات التعلـم. هذا بالاضافـة إلى غياب النوادي والورشـات الفاعلـة فـي صلـب المدرسـة التـي تسـاهم فـي صقـل المهـارات الحياتيـة للطفـل، مـا يخلـق بـدوره هـوة فاصلـة بيـن المدرسـة

إن انشغال العائلة بتوفير الحاجيات المادية لأبنائها في ظل الضغوطات الاقتصادية جعلها تتغافل عن دورها العاطفي.

والطفل، لتصبح مؤسسات طاردة ومملة بالنسبة للطفل. وهو ما يجعله يبحث عن البديل بين وسائل التواصل الاجتماعي يصل حدّ الإدمان خاصة مع غياب الرقابة العائلية. فهذا العالم الافتراضي بدوره يغذي الإحساس بالوحدة والعزلة الاجتماعية لدى الطفل، مما يصعب عليه الاندماج الاجتماعي والتأقلم مع محيطه الاجتماعي، هذا العالم الافتراضي وعمقه واختلافه. إلاّ أنّه عالم نتعامل فيه مع من يشبهنا ونتشارك معه الأفكار والإحساس فيحصرنا بالتالي في دائرة مغلقة اجتماعيا لا تقبل الآخر المختلف. وهو ما يحدث مع هؤلاء الأطفال. اصطدامهم في الواقع مع المختلف عليهم في التفكير والرأي والإحساس خاصة داخل العائلة والإطار المدرسي يخلق اختلافات وصراعات تؤدي إلى اكتئاب الطفل خاصة مع الأزمة في إدارة هذه الخلافات أو الصراعات وكيفية التعامل معها خاصة مع غياب الحوار بين مكونات الأسرة مع الأطفال إضافة إلى غياب الحوار في الوسط المدرسي مما يزيد في تأزّم الوضعية .

2-3 الشريحة العمرية من 16 إلى 25 سنة :

احتلت هذه الشريحة المرتبة الثالثة من حيث عدد حالات الإنتحار ومحاولات الانتحار لسنة 2021 ب 28 حالة بعد أن كانت في المرتبة الثانية سنة 2020 ب 49 حالة .

تراجع عدد الحالات المسجلة في صفوف الذكور من 31 حالة سنة 2020 إلى 17 حالة سنة 2021 ومن 18 حالة بالنسبة للإناث سنة 2020 إلى 11 حالة سنة 2021 إلا أن الإحصائيات التي سجلها المرصد الاجتماعي التونسي التابع للمنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية تبقى مرتفعة بالنسبة لهذه الشريحة العمرية.

الجدول عدد 5 : الفئة العمرية 16-25 بين سنتي 2020-2021

السنة	الذكور	الإناث	المجموع
2020	31	18	49
2021	17	11	28

تتميز هذه الفئة العمرية بكثير من الخصوصية بما تحمله شريحة اليافعين من خصوصية لكونها مرحلة خروج من الطفولة تكون فيها تركيبة الطفل النفسية هشة نتيجة للتغيرات الفيزيولوجية وحتى الاجتماعية. تتميز أيضا هذه الفترة ببداية انخراط اليافع في الفضاء العام وما يحمله من تناقضات وأزمات. فخروج الفرد من جلباب عائلته والمرحلة التعليمية الإبتدائية إلى رحاب المعهد الثانوي تنتج عنه علاقات جديدة وممارسات جديدة في كثير من الحالات وهو ما يؤدي بدوره إلى الانزواء على الذات وبالتالي الاكتئاب والتأزم.

كما تُعرف مرحلة المراهقة في علم النفس بأنّها من أصعب المراحل التي يعيشها الفرد، حيث يسُودها الاكتِئاب والإحباط ، بالإضافة للتوتر النّفسي الذي يكون شديدا في أغلب الحالات، وهي مرحلة عبور من الطفولة إلى مرحلة الرشد. ويسود في هذهِ المرحلة أيضاَ أزماتٌ نفسية وصعوبة في التّوافق بين المراهق والمحيطين به، لذلك يعتبر هذا السن من الأكثر حرجا والأكثر ردّ فعل تجاه الضغوط النفسية التي يواجهها المراهقون في الواقع . في هذه المرحلة من العمر عادة ما تتكون قطيعة

بيـن عالمهـم الداخلي والعالـم الخارجي فيبحـث المراهقون عـن البديـل في هذا الأخيـر إذ يحبـذ هـؤلاء عالـم الشـارع ومغامراتـه. فتجدهـم أقـرب إلـى الممارسـات المحفوفـة بالمخاطر. وذلك مـن أجل إثبـات ذواتهم داخـل المجتمع. هـذه الممارسـات بدورها تخلـق قطيعة بينهـم وبيـن عالـم «الكبـار». خاصـة فـي علاقـة بالاوليـاء والمربيـن الذيـن يمثلـون دور المراقـب والوصـي والرادع لهـذه الفئـة، دون مراعـاة خصوصيـة هذا السـن ومـا تمتلكـه من طاقـة يجب تفريغهـا لا كبتهـا. هذا الكبـت يولد لـدى المراهق الإحبـاط واليأس والضغـوط النفسـية والاحسـاس خاصـة بالرفـض مـن عائلته ومن المجتمـع عامـة. إن انخفـاض تقديـر الـذات التـي يعانـي منهـا المراهقـون يجعلهـم يشـعرون بأنهم غير مرغـوبٍ بهـم وأنّ كلّ ما يعملـون علـى تحقيقـه وإنجـازه، لا يلقـى أي تقديـرٍ وأهميـة من المحيطيـن بهـم وهـو مـا يمكـن أن يعـزز مـن رغبتهـم بالانعزال. فهم يشـعرون أنـه لا جدوى مـن وجودهـم، فيعجـزون بالتالي عن تحقيـق طموحاتهـم فـي الحياة ويفقـدون الأمـل في النجـاح وهو مـا يجعلهـم يفكـرون فـي الانتحـار انتقامـا مـن محيطهـم الـذي سـبّب لهـم الشـعور بالذنب.

> تعاني الأسرة ضغوطات أثرت بصفة مباشرة على الطفل. ناهيك عمّا تعيشه المدرسة التونسية اليوم من تراجع في دورها التربوي

دون أن ننسـى عامـلا آخر مهمّا وهـو أهمية النجاح المدرسـي بالنسـبة للعائلة التونسـية. وهو ما يسـبب ضغطا نفسـيا بالنسـبة للمراهـق مـن ناحية كمسـؤول علـى هذا النجـاح ومن ناحيـة ثانية كفاعـل مسـلط عليـه هذا الضغـط من طـرف عائلته. وذلك مـا يولّد لديـه الشـعور بالقلق والخوف . حيث يشـكّل كلّ مـن الخوف والقلق الشـديد سـببين مهمين يدفعان المراهقيـن نحو الانتحـار ومحاولة الانتحـار ووضع حـدٍّ لحياتهم. فمثـلاً عندما ينفصلون عن شـخصٍ

يحبّونــه أو يتعرّضــون للتنمــر مــن مجموعة مــن أصدقائهــم، كذلك الفشــل فــي الدراســة مثــلا ... كلّها مــن الأمــور التي تعزز مشــاعر الخــوف والقلــق الشــديد وتدفــع بالطفــل نحــو التفكيــر بالانتحار. هــذا بالإضافــة إلــى إســاءة اســتخدام مواقــع التواصــل الاجتماعي التــي تــؤدي إلى التنمــر أو الادمــان أو الانحــراف الجنســي خاصة بالنســبة للإنــاث ومــا يمكــن أن تتعــرض لــه مــن مشــاكل بســبب وســائل التواصــل الاجتماعي مثــل ابتزازهن أو نشــر صورهن الأمر الــذي يجعلهــن يفكــرّن فــي إنهــاء حياتهن خوفــا مــن «الفضيحة» فــي مجتمــع عادة مــا يُنصب نفســه وصيّــا علــى المرأة .

هــذه القطيعــة بيــن المراهــق والمؤسســة بمــا فيهــا العائلــة والمدرســة التــي عادة مــا تكــون المنفر لــه دون احتوائــه ومحاولة فهمــه، تغــذي لديه الإحســاس بالاغتــراب والإقصــاء وتجعلــه يفكر فــي ردة فعــل تعبيــرا عــن ذاتــه خــارج هــذه المؤسســات ، مثــل اللجــوء إلى الانحــراف أو الإدمــان والانقطــاع المبكر عن الدراســة. كلهــا عوامــل بدورهــا تفتــح نوافــذ الاكتئــاب والتــأزم الــذي يؤدي إلــى الانتحــار أو محاولــة الانتحــار، خاصة مــع غيــاب إرادة الدولة للإحاطــة بهــذه الفئــة وتفعيــل دور مؤسســاتها مثل دور الشــباب ودور الثقافة والمســارح والســينما. هذه المؤسســات تؤطر المراهق وتعمــل بمناهجهــا على احتــواء قــدرات وطاقات هــذا المراهق حتى لا يعمــل علــى تفريغها في الممارســات المحفوفــة بالمخاطر. كذلك مــن المهــم أن تعمــل المؤسســات التعليميــة علــى تطويــر المناهِج والمُقــررات التعليميّــة لتُلبــي كامِــل مطالب النّمو بشــكلٍ مُســتمر، حتــى تكــون مُلائمــة للتّغيــرات بما يتناسَــب مــع العصــر الحاضِر، وتــزوِّد المراهقيــن بالدّوافــع التي تُشــجعهم إلى التطلُّع للمُســتقبل، من خــلال التربية المُســتمرة التي تجعلُهم يعيشُــون بشــكلٍ مُتناغم مــع العصــر الحالــي. فالمراهــق الــذي بيــده كل وســائل الانفتــاح علــى الآخــر والتطــورات التكنولوجيــة يجــد المدرســة بمناهجهــا ومحتوياتهــا وأســاتذتها غيــر قــادرة علــى تلبيــة تطلعاته.

3-3 الفئة العمرية 35-26 :

الجدول عدد6 : إحصائيات سنوات 2019-2020-2021 للشريحة العمرية 35-26

السنة	الذكور	الاناث	المجموع
2021	51	16	67
2020	54	18	54
2019	70	8	78

ارتفعت نسبة الانتحار في المجتمع التونسي بين فئة الشباب خاصة منذ الثورة بأساليب مختلفة خاصة الشنق والحرق. لقد ارتبط الانتحار ارتباطا مباشرا بحالة الاحتقان والغضب التي يعيشها الشارع التونسي وتعميق أزمة التهميش والفقر التي عايشها أغلب فئات المجتمع التونسي خاصة الفئات الضعيفة. بالتالي يمكننا أن نعتبر أنّ فعل الانتحار هو نتاج اجتماعي لا يمكننا أن نعتبره طبيعيا أو مرضيا لأن كل فعل اجتماعي هو محمل بمعاني ودلالات مرتبطة بسياقها. ولهذا اعتبرنا أن الانتحار شكل متطرف يقصد به أن يكون علنيا ممسرحا تعبيرا عن الإحساس باللاعدل والظلم الذي تعانيه الفئات المهمشة لتجد في الانتحار تعبيرا متطرفا.

وبالتالي فإنّ هذه الفئة الهشة التي تشترك في الكينونة وفي الجغرافيا أيضا، استلهمت من فعل البوعزيزي ممارسته التعبيرية عن سياسة التجاهل والمحاباة. هذه السياسة التي تتبعها السلط المحلية والوطنية ضد مواطنيها ليتحول في حالات كثيرة فعل الانتحار إلى فعل جماعي أين تشترك الجماعة في المعاناة نفسها. فتعبر عن تضامنها وتكتلها من خلال الممارسة نفسها ويشتركون أيضا في ردّة الفعل ويشتركون في الفضاء نفسه لما يحمله هذا الفضاء من رمزية. إذ تصبح الأماكن العامة ومؤسسات الدولة جزءا من هوية الفاعلين خاصة في محاولات الانتحار الجماعي التي عادة ما تبدأ بالاحتجاج أو الاعتصام المطول لتصل إلى الانتحار أو التهديد بالانتحار تعبيرا عن الحد الأقصى لتحمل وضعية الإقصاء والتمييز، إذ يقدم هذا الفعل الجسد بمثابة القربان فداء للجماعة وتعبيرا عن حالة من الاحتقان الجماعي. وقد تحول الانتحار بعد الثورة من الفعل الفردي الذي يعبر عن حالة نفسية أو اجتماعية خاصة إلى تعبير عن وضعية مجموعة كاملة تتشارك في نفس الهموم والمعاناة. وعليه يصبح الانتحار تعبيرا عن فعل تضحية

والتـزام أمـام المجموعـة التي تتشـارك في نفـس المعانـاة. لتعبر هـذه المجموعـة بدورهـا عـن ردّة فعل ضـد السياسـات الاجتماعية الاقصائيـة وسياسـات اللامبالاة بهـذه الفئات وتركها لحال سـبيلها. وإن كان فعـل الانتحـار فعـلا فرديـا بدرجـة أولـى إلاّ أنّـه لا يمكن عزلـه عن الواقع المجتمعي. وهذا السـياق التونسـي أكبـر دليل على ذلـك والارتفـاع المتواتر لنسـب الانتحـار ومحاولات الانتحـار يجعل مـن المقاربـة التعدديـة فاعلة فـي قراءتنا لهـذا الفعـل الاجتماعي.

وتـزداد مخاطـر الانتحـار فـي سـياق اقتصادي غيـر مؤكد حيـث يصعب بشـكل متزايـد التوافـق والتخطيط للمسـتقبل.

3-4 الشريحة العمرية : 36-45

الجدول عدد7: إحصائيات 2020-2021

السنة	ذكور	اناث	المجموع
2020	33	11	44
2021	32	5	37

احتلـت هـذه الشـريحة المرتبـة الثانيـة بعـد أن كانـت فـي المرتبـة الثالثة في سـنة 2020 بـــ 44 حالة. ورغم تراجع نسـبتها إلاّ أنّهـا ظلّـت أرقامـا مفزعة حيث سـجلت هذه الشـريحة 37 حالة انتحـار ومحاولـة انتحـار منهـا 32 حالـة مـن الذكـور وارتفعـت خاصـة خلال شـهر نوفمبـر بـــ 11 حالة .

تتميـز هـذه الفتـرة العمريـة باسـتعداد الفـرد إلى الاسـتقرار المـادي والأسـري. ومـع تمطـط فترة الشـباب التـي تصـل إلى ما بعـد الثلاثيـن نظرا لطول مـدة الدراسـة وارتفاع أمـد البطالة يصل الشـاب التونسـي إلـى منتصـف الثلاثين وأكثـر دون شـغل قار أو تأسـيس أسـرة. وهـذا بـدوره يؤجـج الاحسـاس بالعجـز والوهن. خاصـة وأنّ هـذه الفئـة 36-45 سـنة اليـوم هـي نفسـها الشـباب

الـذي طالـب بالشـغل والكرامـة والـذي أسـقط النظـام السياسـي احتجاجـا علـى حالـة التهميـش والإقصـاء. إذ يجـد نفسـه اليـوم وبعد 10 سـنوات مـن الثـورة على نفس حالـة الإقصـاء والتهميش والحرمـان والعجـز عـن الحيـاة بكرامـة. هذا مـا يغذي الإحسـاس باللاعـدل الاجتماعـي خاصـة لدى فئة الذكـور. هذه الفئـة الذكورية تعتبـر نفسـها أكثـر مسـؤولية تجـاه عائلتها وتجـاه نفسـها. هذا الثقـل يخلـق لـدى الرجـل الإحسـاس بالفشـل والعجـز. وهـو مـا يجعلـه يلتجـئ للعنف تجـاه الآخر خاصـة زوجته أو أمـه أو ابناءه أو تجـاه نفسـه. فيبحـث عن أكثـر الأشـكال راديكاليـة للتعبير عن سـخطه مـن الواقع المريـر الذي يعيشـه. وهـذا بـدوره يدفعنا إلى تفسـير دوافـع فعل الانتحـار ومحـاولات الانتحار عند النسـاء الذي نفهمـه بدرجـة أولـى بارتفـاع نسـب العنـف المسـلط ضـد المرأة سـواء فـي العائلـة أو فـي العمل أو فـي الشـارع، خاصة مـع أزمة الكورونـا. حيـث بلغـت نسـبة العنف المسـلط ضـد النسـاء على سـبيل المثـال في شـهر أكتوبر إلـى 33.3 % وهو يصـل في حالات عديـدة إلى شـكل متطـرف خاصة في الفضـاء الأسـري. يصل ذلك إلـى حـدود القتـل والاسـتعمال المفـرط لـلآلات الحـادة ، ويتحول المنـزل من خلال هـذه الممارسـات العنيفـة ضد المـرأة إلى فضاء منتـج للعنف من قبـل الرجل الذي يمـارس سـلطته الذكورية. هذه السـلطة اسـتمدها مـن طبيعـة مجتمعنا الأبـوي التي تجعـل منه « الوصـي» على المـرأة وعلى سـلوكياتها باعتبارها «شـرفه». وهو ما يجعلهـا عرضة فـي كل مرة إلى العنـف بأنواعه المـادي والمعنوي. ونظـرا إلـى طبيعة ثقافتنـا المجتمعية ومـا تفرضه علـى المرأة من قـوة صبر فـإن المـرأة تضطر للكتمـان تفاديـا للوصـم الاجتماعي وهـذا مـا يخلـق بـدوره بداخلهـا الإحسـاس بالعجز علـى مواجهة واقعهـا العنيف وإحساسـها بهـدر كرامتها ويجعل مـن الانتحار أو محاولتـه ردّة فعـل أو بالأحـرى ثـورة صامتة على مجتمـع ذكوري يعتبرهـا ملكيـة خاصـة يجـوز التصـرف فيهـا. ولتـرُدّ الاعتبـار لنفسـها التـي وقع التنكيـل بهـا وحفظـا لكرامتها تتحـول بدورها

من خلال هذا الفعل المأساوي إلى قوة رمزية ضد القواعد والقوانين الاجتماعية وضد «جحيم « الواقع المجتمعي الذكوري.

وإضافة إلى حالات البطالة والفقر التي يعاني منها الجنسان سواء في الوسط الحضري أو الريفي، فإن كثيرا من الحالات تعاني من حالات الاكتئاب وعدم الرغبة في مواصلة الحياة لما أصبحت عليه الحياة الحديثة من تعقيد وتشتت خاصة مع جائحة كورونا وما خلّفته من تأثيرات نفسية على الفرد والمجموعة نتيجة الحجر الصحي الذي عمّق من ضعف الروابط الاجتماعية.

3-5 الشريحة العمرية 46-60 :

الجدول عدد8 : الفئة العمرية 46-60 بين سنتي 2020-2021

السنة	ذكور	اناث	المجموع
2020	29	7	36
2021	19	9	28

وإن تراجع عدد حالات الانتحار ومحاولات الانتحار بالنسبة لهذه الشريحة طيلة أشهر السنة فإنها ارتفعت نسبها في شهر ديسمبر ب5 حالات للذكور وحالة واحدة للإناث.

تمثل هذه الشريحة فئة الكهول في المجتمع التونسي والتي تمثل بنسبة كبيرة الآباء والأمهات الذين يتحملون مسؤوليات أبنائهم وآبائهم أيضا. هذا الإحساس بالمسؤولية في وضعية اجتماعية حرجة خاصة التي مرت بها مختلف الفئات الاجتماعية في السنتين الاخيرتين مع الحجر الصحي وفقدان الكثير لوظائفهم ودخولهم في حالة عطالة غير معلنة مسبقا. إذا يجد هذا «العائل» نفسه عاجزا عن توفير مستلزمات عائلته ومتطلبات أبنائه وغير قادر على القيام بدوره كرّب أسرة

خاصــة بالنســبة للذكــور، لمــا تحملــه ثقافتنــا الذكورية مــن مهام ومســؤوليات بصفتــه المســؤول علــى العائلــة. هــذا بــدوره يولّــد ضغوطات نفســية عند الإحســاس بالعجز أمام وضعيتــه الاجتماعية وإن كانــت هــذه الوضعية السوســيواقتصادية مشــتركة بين مختلف الفئــات العمريــة والجهــات التونســية باختــلاف بســيط إلا أنّ هذه الفئــة عــادة مــا تعانــي في الوســط الريفــي الضيــم والفقــر. وذلك نتيجــة غيــاب المــوارد الاقتصادية وغيــاب فرص الشــغل، حتى في الوســط الفلاحــي الــذي عادة مــا يشــغل النســاء بأجور بخســة. إذ يجــد هــذا الكهل نفســه في فضــاء ضيق محــدود من حيــث الموارد أمــام عائلة عــادة ما تكــون كبيــرة العدد وفي ســن التمــدرس .هذا الإنســداد فــي الأفــق يجعــل من هــذه الفئــة عاجــزة أمــام معاناتها فاقــدة للأمل فــي مــا يخفيه المســتقبل.

إلاّ أن الســؤال المطــروح هــو مــا الــذي يجعــل امرأة في ســنٍّ يتــراوح بيــن الـــ 46 والـــ 60 تُقــدم على إنهــاء حياتهــا، وهي التي غالبــا ما تكــون أمّا وفي حــالات منها جــدّة؟ ما لاحظناه هــو ارتفاع عــدد حــالات الانتحــار ومحــاولات الانتحــار مقارنــة بســنة 2020. فــي بحثنــا عــن الدوافع ســنعود إلى مــا ذكرناه ســابقا حــول دور المــرأة فــي مجتمعنا فــي المحافظة علــى العائلة وضمان تماســكها وقدرتهــا علــى التحمل. إذ تجد نفســها فــي هذه المرحلــة من العمر غيــر قــادرة علــى مقاومة ذلــك الكــم الهائل مــن الضغوطــات التي يفرضهــا المجتمــع وما تفرضــه العائلة من ضغوطات ومســؤوليات وإكراهــات. إضافــة إلى العنــف المادي والجســدي المســلط عليها. فتلتجــئ كثيــر مــن النســاء إلــى الطــلاق بعــد ســنوات طويلــة من المحاولــة علــى الحفــاظ علــى العائلــة لعــدم قدرتها علــى مواصلة المقاومــة. وتلتجــئ كثيرات إلــى ماهو أكثــر راديكاليــة، إلى وضع حــدّ لحياتها وبالأحــرى إلى إنهاء المعاناة النفســية والجســدية التي حاولــت طيلــة حياتهــا تحملهــا لتصبح في ســن معيــن عاجزة عن مواجهــة واقعهــا المتأزم.

6-3 الشريحة العمرية فوق 60:

الجدول عدد9 : إحصائيات 2020-2021

السنة	ذكور	اناث	المجموع
2020	7	4	11
2021	6	3	9

لسائل أن يتساءل: كيف لمسنٍّ تجاوز الـ60 من عمره أن ينهي حياته التي أشرفت على نهايتها طبيعيا؟ كيف له أن يُسرّع هذه النهاية الحتميّة...؟

الإحساس بالإهمال من قبل الأبناء وبأنه عالة على غيره، علاوة على الشعور بالوحدة والفراغ وخاصة العاطفي، ذلك وغيره يؤدّي إلى السلوك الانتحاري لدى هذه الفئة كتعبير عن خيبة الأمل واليأس.

كذلك من الضروري أن نربط هذا السلوك الانتحاري عند هذه الشريحة العمرية بما تعانيه المدن التونسية باختلافها من مرض التمدن. فغياب المساحات الخضراء والتلوث المفرط وفوضى الطرقات والبناءات التي تميزت بها خاصة في السنوات الأخيرة يعزز شعور هذه الشريحة العمرية بالاكتئاب. لأنها في فترة عمرية تبحث عن الراحة النفسية والشعور بالاسترخاء بعد مسيرة حياتية متعبة. إضافة إلى ما يتابعه المسن، ذكرا أو أنثى، يوميا أمام التلفاز وفي الصحف اليومية من أخبار وأزمات وطنية وعالمية تبعث فيه الإحساس بالتأزم والشعور بالخوف وهو ما يجعله أحيانا يبحث عن التسريع بإنهاء حياته.

هذا دون إغفال ما يعانيه بعض المسنين خاصة في المناطق الريفية من الفقر والحاجة. خاصة مع تأزم أوضاعهم الصحية وعجزهم وعجز أبنائهم عن توفير مستلزماتهم الطبية. فهذا يزيد من حالة العجز البدني والمادي، الذي يزيد من

الضغوطات النفسية عند الإحساس بالعجز تؤدّي إلى الانهيار... هنا يبرز دور العائلة والمجتمع المدني بالخصوص.

إحساسهم بالإهانة، كذلك إحساسهم بأنهم مرفوضون من قبل عائلاتهم ومن قبل الدولة ممّا يجعلهم يلجؤون إلى الانتحار في حالات كثيرة حفظا لكرامتهم.

إنّ ما يحتاجه الفرد خاصة في سنوات ما بعد الـ60 هو أن يكون لوجوده معنى. وأن يتم الاعتراف به وتقدير ما قدّم طيلة حياته السابقة. وأن يكون موضوع اهتمام علائقي واجتماعي، فغياب هذا التقدير والاستيعاب يصاحبه تمزق رمزي. تمزق الرابطة الاجتماعية الذي يؤدي إلى حالات العزلة والشعور بالوحدة الشديدة. وهنا نتذكر مفهوم الانتحار اللامعياري عند دوركايم، حيث ينتحر المرء نتيجة البؤس الأخلاقي أكثر من البؤس الاقتصادي وهو ما يعكس تنامي حجم اضطراب القيم وتفكك النسيج الاجتماعي داخل العائلة التونسية.

تنامي فعل الانتحار خاصة في صفوف الشباب يعود إلى ثقل العبء الاجتماعي والأسري الملقى على عاتقهم، إذ باتت هذه الفئة تواجه صعوبات كبيرة بعد جائحة كورونا، ما يخلف أزمات نفسية حادة، تنتهي لدى بعضهم بالانتحار. إن الفئات المهددة بالانتحار الناجم عن الأزمات النفسية هي الأكثر مواجهة للتحديات الاجتماعية، والمثقلة بالالتزامات العائلية التي زادت بسبب فقدان كثيرين الشغل من جراء الجائحة.»

4) الإنتحار في مجتمع المخاطر : فعل تعبيري سياسي راديكالي

عمل التطور المذهل الذي يشهده المجتمع الحديث على تعميق الهوة أو الفجوة الثقافية والحضارية . هذه الهوة بين من يملكون الإقتدار العلمي والتقني والسوسيواقتصادي ومن يحتلون مواقع السلطة والنفوذ وبين من لا تتيح لهم أوضاع الإقصاء والتهميش فرصا متكافئة وعادلة للاستفادة. ومن امتلاك مؤهلات الجدارة والاستحقاقية للاندماج الفاعل في مراهنات وتفاعلات ومتغيرات هذا المدّ الكاسح. فهذا الانتشار الهائل لتكنولوجيات الاتصال اختصر الأزمان والمسافات ومثّل «مرحلة سماتها التدفقات الأفقية والشبكات المترامية التي أثرت خاصة في المجتمعات التقليدية. والمجتمع التونسي خاصة الذي يأبى الاستقرار والأمن الاجتماعي. إذ تراجعت الدولة الراعية وانسحبت

من التكفل بالمسألة الاجتماعية. وهو ما أدى إلى تآكل العقد الاجتماعي بين الدولة ومواطنيها. فبعد أن كان من وظائفها تأمين المساواة والعدل الاجتماعي وضمان حقوق مواطنيها تراجع دورها الاجتماعي وتزايدت فردنة حياة الأشخاص التي ما انفكت تجتثهم من مجتمع الضمان الاجتماعي وتلقي بهم في متاهات مجتمع المخاطر. وهو ما عمّق الهوة بين الفرد ومجتمعه. مجتمع يدعو إلى تكريس حقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية والمساواة، ويرمي بأفراده في هوة البطالة والفقر والتهميش. هذا ما يعزز بدوره الشعور باللاأمن الاجتماعي واللايقين والضبابية أمام المستقبل. يغذي ذلك مشاعر اليأس والإحباط لدى مختلف الفئات الاجتماعية. خاصة التي تجد في الممارسات المحفوفة بالمخاطر البديل بحثا عن حلول تجتثها من مجتمع أصبح رافضا لها. ألا يلجأ المراهق إلى الانقطاع المبكر عن الدراسة أمام تعطل مصعد الارتقاء الاجتماعي وفشل المدرسة العمومية؟ في مواكبة تفكير هذا المراهق الذي انفتح على ثقافات العالم فلم تعد المدرسة بمعداتها تغريه لمواصلة الدراسة. وأمام مشهد متأزم اقتصادي وسياسي وارتفاع في نسب البطالة ألا يلجأ طفل الـ16 سنة إلى الابحار خلسة هروبا من حاضر مهزوم ومستقبل غير مضمون؟ ويلتجئ غيره إلى التجارة الموازية والآخر إلى الإدمان والإنحراف والعنف، ليختار العديد من الأفراد اللجوء إلى الانتحار لعدم قدرتهم على مواجهة المحن والاختبارات المرهقة التي يواجهها تكرارا في عالم اللايقين واللاأمن الاجتماعي.

> **انسحاب الدولة الراعية من التكفل بالمسألة الاجتماعية أدّى إلى تآكل العقد الاجتماعي بين الدولة ومواطنيها**

وانطلاقا من فهم علم الاجتماع الكلاسيكي للجسد باعتباره جزءا في ممارسة السلطة، إذ يعتبر هذا المنظور للتحليل الجسد واقعًا سلبيًا يخضع لسلطات تأديبية، تهدف إلى السيطرة عليه ومراقبته وقمعه من خلال مؤسسات الدولة. كذلك من منظور عكسي يصبح الجسد أداة للتعبير السياسي والمقاومة ومعارضة أوامر السلطة. حيث يعبر الفرد عن معاناته من خلال «الجسد» خاصة بعد أن تحولت هذه الممارسات من ممارسة خفية في الفضاءات الخاصة إلى ممارسة مرئية في الفضاء العمومي. إذ تتخذ من «المركز» أماكن للفعل مثل البلديات أو مراكز الشرطة فيدخل فعل الانتحار أو محاولته ضمن المخزون النضالي السياسي، في مواجهة لقمع السلطة واحتجاجا على سياسات الاقصاء والتهميش ورفضا لاستراتيجيات الدولة في التعامل معهم. يقدم هذا الفعل الجسد بمثابة القربان فداءً للجماعة وتعبيرا عن حالة من الاحتقان الجماعي حيث تحول الانتحار إلى فعل تعبيري سياسي متطرف عن وضعية مجموعة كاملة تتشارك نفس الهموم والمعاناة، فحتى الحشود التي تحضر مراسم الدفن تعبر عن عمق القبول الشعبي لهذا الفعل. فيتحول من «موت فردي» إلى «تضحية بالنفس من أجل المجموعة.» وهو ما تعمق منذ لحظة حرق البوعزيزي لنفسه وما بعدها من تضخيم للفعل وحشود في مراسم الدفن. إضافة إلى تغطيته بالعلم التونسي، هذه الرمزيات عبّرت عن الإحتفاء بفعل الحرق. ورغم ما يحمله من «تحريم» في الثقافة العربية الإسلامية إلاّ أنّه اجتماعيا يتحوّل إلى تعبير عن التضحية من أجل الجماعة من ناحية ومن ناحية أخرى فإن تجليه في الفضاء العمومي وأمام مؤسسات الدولة هو رسالة معبّرة عن تحوله إلى دور الضحية وخلق الشعور بالذنب لدى مسؤولي الدولة وتحميل الدولة مسؤولية ما أقدم عليه ■

خاتمة

ترجم فعل «الحرق» منذ 17 ديسمبر 2010 فشل الدولة المعاصرة في تحديث مجتمعها وفي إعادة هندسته، وفقا لسياسات تحديثية شمولية، وفي ضمان الرفاه الاجتماعي والسياسي. وتواصل على إثره ارتفاع نسبة الانتحار في المجتمع التونسي طيلة العشر السنوات الأخيرة. وإن اختلفت الأسباب باختلاف الوسط الجغرافي والجنس والسن ، فإن الوضع الراهن الذي يعيشه المجتمع التونسي في مختلف المجالات عمّق من أزمة الأفراد وضاعف مآسيهم .

وهو ما دفعنا إلى اعتبار الانتحار نتاجا اجتماعيا محمّلا بمعانِيَ ودلالات مرتبطة بسياقها. وهو شكل متطرف لتعبير عن الإحساس باللاعدل والظلم الذي تعانيه فئات كثيرة. وقد تعمّق خاصة مع جائحة كورونا لما خلفه من تداعيات اقتصادية وسياسية واجتماعية. وما انجرّ عنه من نتائج وخيمة خاصة على الأسرة. اذ ارتفع منسوب العنف المسلط على المرأة وعلى الأبناء وارتفعت نسب الطلاق. ومع فشل السياسات المتعاقبة في التعامل مع جائحة كورونا صحيا واجتماعيا وتخليها عن الفئات الهشة التي فقدت أبرز مقوّمات الحياة الكريمة ضَعُفَ منسوب الأمل في المستقبل ومؤشر السعادة. وأصبح الفرد التونسي مصدرا لمؤشرات الاكتئاب والتأزم التي بدورها تعزز الرغبة في الانتحار أو محاولة الانتحار.

التضامن الأسري والمجتمعي يقلّص من الإحساس بالعزلة والصعوبات المهنية والماليّة.

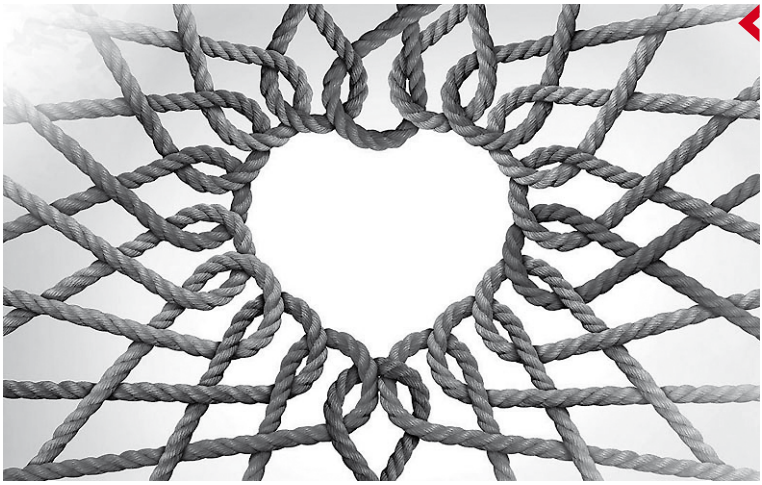

وإن حاولنا الإلمام بهذا الموضوع في هذه المحاولة البحثية المقترحة من منتدى الحقوق الاقتصادية والاجتماعية إلاّ أنّه يبقى التطرق إلى مختلف جوانب وحيثيات هذا الفعل أمرا صعبا. لقد حاولنا فهم التقاطعات بين ما شهدته البلاد التونسية من تغييرات جذرية سياسية واقتصادية وثقافية وكيفية تأثيرها على ديناميكة المجتمع التونسي قدر الإمكان. و رصدنا دوافع فعل الانتحار التي اختزلناها في عدّة مؤشرات أهمها الواقع السوسيواقتصادي. وهذا الواقع أدى بدوره إلى تفاقم أزمة الفرد في المجتمع التونسي الذي يعاني من العزلة الاجتماعية والبطالة والصعوبات المالية والمهنية. هذه الضغوطات بدورها كفيلة بخلق أزمة وجودية لدى الفرد تولد بدورها توترا عصبيا وضغطا من شأنه أن يؤدي إلى فعل الانتحار أو محاولة الانتحار. ويعد الشباب الفئة الأكثر عرضة لمواجهة ذلك. فالعزلة والاقصاء وفقدان الثقة في النفس والسلوك الادماني والتحرش كلها دوافع للإقدام على الانتحار أو محاولة الانتحار.

نحن في حاجة اليوم الى مقاربة مجتمعية تشاركية، وإلى تظافر المجهودات والأدوار من مؤسسات الدولة وما تملكه من رأسمال بشري وتقني لخلق استراتيجيات ووضع مقاربة تعددية

للاهتمام بالصحة النفسية للمواطن وتفعيل دور المؤسسات الخاصة برعاية الأم والطفل والمؤسسات الشبابية ومؤسسات رعاية المسنين ودعمها للقيام بدورها الاحتوائي. وتدعم ذلك بدور المجتمع المدني من خلال دوره التوعوي من ناحية ومن ناحية أخرى دوره الرقابي على فاعلية ونجاعة استراتيجيات الدولة في معالجة هذا الفعل. إضافة إلى ذلك فانه من الضروري تفعيل دور العلوم الإنسانية والاجتماعية والاعتماد على البحوث العلمية بنوعيها الكمي والكيفي لفهم وتفسير فعل الانتحار وتداعياته على الفرد والمجتمع والبحث عن حلول جذرية للحد من مسبباته ■

> **إن فشل السياسات المتعاقبة في التعامل مع جائحة كورونا، قلّص منسوب الأمل لدى الفرد التونسي وعزّز لديه الرغبة في الانتحار أو محاولة الانتحار.**

يشهد مجتمعنا مجموعة من التحولات والمخاضات والمشكلات مختلفة الأنماط والمجالات والمستويات، لعل أخطرها ما أصبح يتفاقم يوما تلو الآخر وما نشاهده في مشهد إحصائي في عدد حالات الانتحار ومحاولات الانتحار المعلن عنها دون التي دفنت مع أصحابها. إذ يثير الانتحار تساؤلات كثيرة عن المجتمع ، لأنه، يؤثر على ما يصنع الرابطة الاجتماعية. فعادة ما يرتبط فعل الانتحار خاصة في الدراسات السوسيولوجية الكلاسيكية بفروق في درجة التضامن الاجتماعي، حيث يؤدي شعور الفرد بانعدام الروابط الاجتماعية أو ضعفها إلى إنهاء حياته. ورغم أن البشر يعتبرون أنفسهم أفرادا يتمتعون بكامل الإرادة والحرية، إلاّ أنّ أنماط سلوكهم كثيراً ما يجري تشكيلها وصياغتها مجتمعيا.

CCFD TERRE SOLIDAIRE Soyons les forces du changement
FRIEDRICH EBERT STIFTUNG
Ost Observatoire Social Tunisien
المرصد الإجتماعي التونسي
FORUM TUNISIEN POUR LES DROITS ÉCONOMIQUES ET SOCIAUX